

دبرت فتنه سوء تستعيد بها من مجدك الباطل الفرار ما هدموا
 مجد كبير طوته ظلمة كفت ثم انجلت فاذا ما تحتها ورم
 كروا بعزيمة حر جاء منتصراً لنفسه واستباحوا منك ما احترموا
 فانزلوك عن العرش الرفيع وما كانوا يريدونها لكنهم رغموا
 تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها وانت بالغدر والاغواء متهم
 فالיום تعلم عقبي من يخون ومن يطنى وتندم اذ لا ينفع الندم
 هبطت من قمة الامجاد منحدرأ كصخرة حطها من شاهق عرم
 ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً وفي هلاكك كل الخلق قد سلما
 كانت باقبالك الاقدار عابسة فاصبحت بعد ما ادبرت تبسم
 دمشق : ف



السلطان عبد الحميد الماء خلوع

قلما جاء في الملوك من ترضيك اخلاقه واعماله لضعف التربية الدينية
 والمدنية ولان الملك يسكر فيقتضي له عقل كبير يحسن به صاحبه التصرف
 ويراعي فيه حقوق الخالق والخلائق . ولذا ندر في ملوك بني عثمان والملك
 متسلسل فيهم منذ زهاء سنة قرون من تأهل بالفعل للجلوس على عرش
 السلطنة فقد رأيناهم وفيهم الاخرق والاحمق والمنبتك والمسررف على نفسه
 والسفاك ولكن لم يأت فيهم على التحقيق مثل الساطان الخامس والثلاثين
 عبد الحميد الثاني

نقول فيهم وما خلقنا ان نقول في غيرهم من ملوك الاسلام بل وفي الامم

الآخري فقد تدبرنا تراجم الوف من الملوك والعظماء ولم نشهد لعبد الحميد مثيلاً في أخلاقه وأعماله . بلى رأينا يشبه الناصر لدين الله العباسي بتجسسه وحرصه والحاكم بأمر الله الفاطمي بهذيانه وتلونه والحجاج بن يوسف الثقفي ببطشه وسفكه والسلطان إبراهيم العثماني بسفاهته واسرافه . ومن جمع في شخصه هذه الصفات مجسمة كان جديراً بأن يدعى طاغية الملوك والسلطين .

تولى عبد الحميد زمام السلطنة وكيلاً عن أخيه مراد الخامس لمرض طراً على عقله وكتب على نفسه عهداً دفعه لمدحت باشا ناشر اعلام الحرية في المملكة العثمانية ثم أرسل على ما يقال من أحرق دار مدحت باشا وحرق العهد في جملة ما حرق وأخذ يستجلب قلوب أكثر أهالي الأستانة مدة وكالته حتى اجتمع الصدر محمد رشدي باشا ومدحت باشا فقررا دعوة رجال الدولة الى الباب العالي للنظر في توسيد السلطنة الى عبد الحميد أصالة فاجتمع نحو ألف شخص من الكبراء وقرروا أن جنون السلطان مراد مطبق لا يرجي أن يفيق منه فافق شيخ الاسلام بمحل امامته وبويع لعبد الحميد الذي اظهر أولاً بأنه يميل الى الحكم الدستوري ومنح القانون الاساسي ثم سلبه واقفل بجاس الامه واتعب مدحت باشا في معاناة أخلاقه وكان اول عهد نكثه معه انه أخذ على نفسه أن يعين لرئاسة كتاب الما بين نامق كمال بك الكاتب الشاعر الشهير وضيأ لك رئيس الما بينية فعين غير ما ثم أخذ يدس الدسائس ونفى مدحت باشا ثم أرسل به الى الطائف فسجن في حبسها مدة ثم أمر بخنقه

وأخذ السلطان يكثر من التضيق على أخيه السلطان مراد وعلى سائر افراد الأسرة السلطانية ولا سيما ولي عهد السلطنة السلطان الجديد محمد خان الخامس الحالي وبشر د كل من عرف بالانكار عليه من الوزراء والعظماء

فالقي بذلك الرحمة في نفوس قواد السلطنة ورجال سياستها فاجابوا يسديرون على رغباته وكل من خالفها ولو في سره اقصاه وسجنه وعذبه وكلما مضت سنة على ملكه يزداد مراناً على هذه الفمال ويبالغ في الاحتياط لنفسه وغدا يتولى كل امر بذاته ويبعد ارباب الوجدان من رجال الدولة ويستعيض عنهم باناس ممن يصطنعهم وما يصطنع الا الاسافل من كل جنس من اجناس الدولة لعلهم بانهم ينفادون بكل مبداء في سبيل نصرته على الباطل حتى آلت ازمة الدولة في العهد الاخير الى ايدي السفلة من اعوانه الجهلاء الطفلاء الا قليلاً .

واذ كان مفطوراً على الطمع وبحسب ان المال يعمل كل شيء اخذ يملك الاملاك باسمه على خلاف عادة الملوك والسلاطين فكان كلما سمع بان في اقليم كذا اراضي من املاك الدولة يحتال لاختهابها ثمن ان كانت من الاملاك الاميرية او ثمن طفيف ان كانت لافراد ثم الف الشركة الخيرية لتسيير السفن في موافي الاستانة وشركة اخرى لحسابه بين البصرة وبغداد وفتح في العاصمة مخازن لبيع البضائع ومعامل لصنع السجاد وغيره وضارب بالاوراق المالية وهكذا اصبح عبد الحميد تاجراً مزارعاً مضارباً لايهم بشيء من امر الملك الا اذا كان تقريراً من جواسيسه الذين كثروا في العاصمة والولايات كثرة ضاقت بها خزينة الامة وكلهم امناء وان اخطأوا فليهم الاجر وان احسنوا فحدث ماشئت ان تحدث عما ينهال عليهم من انعامه واحسانه . حتى لقد قل جداً في عماله من لم يتجسس له لاسيما بعد ان رأى الناس ان الترقى في الوظائف لا يتأتى في الاغلب الا من طريق الجاسوسية وبهذا استنزل غضب عقلاء الامة واحرارها وكان كلما بالغ في الضغط

عليهم واشتد في ارهاقهم واعنائهم بنمو عددهم بنمو الميل الى التعلم . فكانت مدارس الدولة ولا سيما العالية منها على شدة المراقبة عليها شدة لا يطور العقل اكثر منها وعلى اصدار ارادته لتتري لجمال المعارف صورة للاحقيقية - منبعث تلك الشعلة التي قضت على استبداده الذي لم يكده معهد له مثيل في تاريخ الامم فزحزح المتخرجون فيها اسس الحكومة المطلقة المدمرة واقاموا مكانها على التقوى اساس الحكومة المقيدة المعمرة .

عرف عبد الحميد ان بالمدارس والمطبوعات تستثير العقول فيقل الراضون عن حكمه فانشأ يضيق الخناق على المدارس حتى حذر ان يعلم فيها التاريخ وعلوم السياسة والاجتماع لانها تربي العقل وتفتح الازهان وتدعو الامة الى سبل الرقي والامان .

ورأت المطبوعات منه ومن اعوانه الجهلاء خصوماً يكفي في نعمتهم انهم اعداء كل فكر وارثقاء وتجديد حتى اصبح ما يطبع تحت السماء العثمانية في الثلاثين الاخيرين من حكمه عبارة عن كتب خرافات وزهد وتلفيق او اُماديج كاذبة له ولا رباب المظاهر او اموراً عادية لا تربي عقلاً ولا تزيل جهلاً . ووصلت المراقبة على المطبوعات في ايامه الى درجة من الهزل لم تصل اليها في امة مغلوقة على امرها فرفعت من المعاجم كثير من الالفاظ كالعدل والمساواة والقانون الاساسي والجمهورية ومجلس النواب والخلع والديناميت والقنابل واصبحت الجرائد ابواقاً تضرب بتقديسه وتألبيه والعاياذ بالله او تكتب في النافه من الاخبار والافكار . جرى كل هذا برأيه ورضاه لا كما يزعم بعض من يريدون ان يتحملوا له الاعذار الباردة من انها كانت من عماله ووزرائه وهو لا علم له بما يأتون .

كثرت في الأيام الحميدية انواع المذالم واصبح كالمطال عهده يشتد في اعنات من يخالف له فكراً او يعرض له في الاصلاح امراً حتى صار بعض العقلاء من عماله يتظاهرون بالبله او ينقطعون عن الخدمة لان سلطانهم لا يرضيه الا ان يكونوا على قدمه في الظلم وارتكاب المنكرات . ولقد نصح له بعض سفراء الدول منذ بضع سنين ان يكف من شرور بعض العمال لان استرسالهم فيها مما يسقط شأن المملكة ويضر بمستقبلها فقال لهم وماذا اعمل مع من ذكرتم وهم يجبوني ويتفانون في خدمتي اي انهم في حل من عمل ما ارادوا من العسف في الامة ماداموا يظهرون له الحب ويخمدون اغراضه

اشتهر عبد الحميد بالحقد الشديد والحرص الاكيد والحدة المتناهية والاحتياط الذي ينطلي على ضعاف العقول فيقولون انه الدهاء والحكمة . وكانت هذه الاخلاق بادية عليه قبل ان يلي امر الامة حتى قال نابوليون الثالث فيه يوم رآه مع عمه السلطان عبد العزيز في باريز ان هذا الفتى سيجي منه داهية باقمة فهاهو الا ان قبض الله له الجلوس على سرير آل عثمان حتى صحت فراسة نابوليون فيه بل برز في هذا المضمار

كان السلطان عبد الحميد يحب ابنه مراداً اكثر من عبد الحميد لان هذا كان يبدو عليه الخبث منذ الصغر ولما ترعرع شرع يتجسس لعمه السلطان عبد العزيز على اخوته واكل بيته لينال منه الاحسان وينلوه في كشف عورات اخيه مراد خاصة وكانت تقاريره للسلطان عبد العزيز متصلة كتقارير جواسيسه في عهد سلطنته وظالما كدره السلطان عبد العزيز على تشاغله بالفلسف ويكفي في بيان الفرق بين اخلاق السلاطان مراد واخلاق السلطان عبد الحميد ان الاول كان يعني في صباه بالشعر والموسيقى ودرس

مدينة اوربا وتاريخها على حين كانت اخوه لا هم له الا درس السحر والطاسيات وضرب المندل واخذ الفأل ويتقرب لذلك من المشايخ والبله والذجالين مضى ثلث قرن على الامه العثمانية وهي تفتنى في سلطانها فتاة جنون لافناء عقل وكنت اذا خلوت حتى بخاصته وصنائعه يجدثونك من تلاعبه واخلاقه ما تسأل الله معه السلامة وتسجل على فساد اخلاقنا اكثر من فساد احكامنا واعمالنا وكل منهم يورد لك من اسباب اضطرابه الى الصبر على هذه الخدمة ما هو العجب العجيب

فبالاسراف في مال الامه استمال عبد الحميد قلوب الانصار من تزويجهم العلماء وهم جاهلون فكانوا يكذبون على الله والناس ويذكرون لهم من صفات سلطانهم ما هو الزور البحت واذا فزع المنصفون افواههم بانقداسكتهم وحرموا انكار المنكر عليهم وبالجواسيس اطاع على الدقيق والجايل من نيات الامه وما كان يهتم الا للامور الصغيرة ولا سيما ما كان منها متعلقا بشخصه اما عمران البلاد وترقية معارفها وصناعاتها وزراعتها وتجارتها فلم يكن لها قيد في سجل اعماله .

وكفى في عدم احتفاله بامور الرعية واصلاح البلاد انه انسلخت عن جسم الدولة في ايامه المشؤومة بلغاريا والروم ايلي الشرقية ودوبروجة في رومانيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك وانضمت بعض الاودية للصرب واليونان تساليا وايدروفا وتاوفرنساتونس ولروسيا القوقاس وباطوم واردهان وقارص ونال الجبل الاسود استقلاله وانفصلت قبرص وكريت وكادتا واحتل الانكليز مصر وهكذا انفصل من جسم الدولة نحو ثلثها بعدد النفوس والعمران

ماذا تعد هذه الامة من سيئات الدور الحميدي ونزع سلطة الحكم من
 الباب العالي وكانت من قبل فيه على شيء من العقل والقانون وانتقلها الى
 المايين بعث بمصالح الامة الخصبان والجواري والجواسيس والدجالون والمرشون
 والمنافقون والمنطعون بطابع السياسة الحميدية .
 فقد كانت الوظائف والرتب والاسمعة ومظاهر التكريم تباع بالمزاد كما
 يباع العقار والدار ويقطنها في الاغلب من لايهمهم الا حظوظ انفسهم واملاء
 جيوبهم وبطونهم حتى هلكت البلاد ليغتني عبد الحميد والمنفقون لرغائبه
 وافترق الفلاح والصانع وهما مادة حياة الوطن واغتنت تلك الطائفة الفاسدة من
 الموظفين الذين سمام غلا دستون كبير وزراء انكثرا جماعة من الاصوص
 تألفوا في صورة حكومة .
 ولكم كان عمال عبد الحميد سبباً في اهراق دماء الابرياء ونزع روح الحياة
 الوطنية من الناس وما ننس لانفس سياسة المايين في المذابح الارمنية
 والحروب البمانية والكريكية وغيرها من الوقائع الاهلية التي بها السلطان
 الشقاق بين ابناء هذا البيت الواحد وفرق مجتمع القلوب عملاً بالقاعدة الباردة
 « فرق تسد » ولوعقل لجري على قاعدة « اعدل تسد » .
 نعم كانت المدارس منبعث تلك القوة التي قضت على السلطة الحميدية
 بل على السلطة الاستبدادية في السلطنة العثمانية . وناشئة الامة الذين كان
 يحقرهم السلطان المخلوع ويفقوهم بالمال ويظلمهم بالمراتب والرواتب هم الذين
 دبوا بسطان العقل اسباب الانقلاب الاخير في المملكة وغلبوا سلطان الجهل
 فكان يوم ١٠ تموز الماضي مبدأ سعادة العثمانيين وتاج الايام وغرة الشهور
 والاعوام .

كان الصدر محمود نديم باشا يقول للسلطان عبد العزيز ان بعض الوزراء يخوفونك بالامة وما الامة الا من تراهم يشون هناك (واشار الى جماعة من فلاحى الاناضول) ومثلهم لا يميز ولا يعقل فاصنع ما بدالك فانهى الامر بخلع ذاك السلطان وقتله . وكان احمد عزت باشا العابد يحقر للسلطان عبد الحميد امر الامة ويزين له البطش ويقول له ان المسلمين لا يعرفون غيرك خليفة وسلطاناً ورباً صديراً فاحكم فيهم بحكمك فهم عبيدك لا ينازعك في التصرف فيهم منازع الاحرار افراد طائشون . صم اذنك عن سماع خيالاتهم ودعهم يعوون ولا يضر عواء الكلاب بالسحاب . اما حكومات اوربا فامرها الى التفاضل ان اتحدت كلمتهن لا قبل لتباذعها وما دمن متخاذلات فتن في مامن . وهكذا جرى السلطان المخلوع في دوره الاخير على هذه السياسة الخرقاء فكانت سبباً في نزع السلطة الاستبدادية من يده يوم ١٠ تموز الماضي وانزله عن العرش يوم ١٤ نيسان

بش الناس من الخلاص من جور هذا السلطان الابوتة ولكن تلك النفوس الكبيرة من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي احثك معظم اعضائها بالاوربيين وبلادهم قطعة من اوربا ابت ان تضع ملك بني عثمان بالاهمال والتواكل فاضطرت عبد الحميد الى اعلان القانون الاساسي في الصيف الماضي مرغماً ولما لم تطب نفسه لما جرى وانشأت تحدته باعادة الدور السالف لتكون الاحكام طوع امره ونهيه وهو الحاكم المتحكم في الاموال والاعراض والارواح يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل اخذ يوقد نيران الفتنة بين الامة ليقول لها ولا جانب ان العثمانيين لا يليق لحكمهم الا الحكم الاستبدادي ثم احتال للتفريق بين عناصر الدولة اولاً واغواء بعض الخونة من رجاله

بالمال ليثشوا دعوته فتألفت جمعيات عناصر بعد اعلان الحرية ولكل منها نزعة خاصة . يريد الارمن توسيع الاختصاص « المأذونية » او الاستقلال النوعي بعبارة اخرى والعرب ينادون بان الترك شطوهم حقوقهم وهم يريدون ان يشاطروهم الوظائف او ينفصلون عن الدولة وبعض الارناؤود يدعون الى مثل دعوة الارمن . ولما رأى السلطان ان الامة انتهت لرد هذه الترهات وقام العقلاء بحاربونها شرع يسلك سبيلا آخر ويحرك عامة المسلمين باسم الدين بواسطة جمعية الفقهاء في الاستانة دعت نفسها بالجمعية المحمدية وعالب بالشريعة الاسلامية ولا تريد القانون الاساسي لانه يزعمها مخالف للاسلام ومن قواعده الحرية والحرية ليست من شأن الدين المحمدي . وهكذا ألفت لهذه الجمعية فروع في الولايات تهيح العامة باسم الدين وتربطهم بالسلطان وذلك على يد زعائن كان للمال الذي بذله تأثير عظيم في نفوسهم ونفوس الغوغاء .

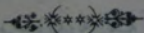
كاد عبد الحميد لامته بتدبير الفتنة المحمدية بل بالفتنة العسكرية فعصت جنود الاستانة الاقليلا بما بذله لهم من الذهب الوهاج ولم يراعوا انه الذين اثاروا الجند واسطة لاضاعة رويهم احسن من اسكارهم فاسكروهم ليلة الفتنة وفرقوا عليهم الذهب الكثير الذي جمعه من دماء الفقير ليقوموا بالمطالبة باعادة الشرع المحمدي او يوقدون نيران مذبحة عامة يقتل فيها احرار الامة اولاً ثم الاقرب فالاقرب من رجال الاصلاح والتجديد ولو وفق عبد الحميد لاستعادة سلطته الاستبدادية وتمت له مكيدته الشيطانية لما هلك في هذه الفتنة الاهلية في انحاء السلطنة اقل من مليوني رجل كما وقع في ثورة فرنسا الاولى

ولكن الله اراد لهذه الامة الخير وقبض لها من رجال الدستور المتفانين في الاحتفاظ به من كان اخلاصهم الداعي الاكبر في نجاحهم فقامت بعض ولايات اليوم ابلي على ساق وقدم تطلب التطوع في الجندية للدفاع عن الدستور وهب جند القياقي الثاني والثالث اي ادرنة وسلاطيك - ومنهما انبعثت جذوة الحرية اول مرة - وزحف في جموع المنطوعة على الاستانة بقيادة البطل المغوار محمود شوكت باشا الفاروقي البغدادي فاستولوا على المواقع الحربية في العاصمة في اسبوع وقبضوا على المنتقضين والمعصاة من الجند المشاغب وخلعوا السلطان عبد الحميد مدير تلك المكاييد بشوى من شيخ الاسلام اثبت عليه فيها قتل الانفس البريئة ومخالفة الشرع وحرق كتب الاسلام والاسراف في مال الامة وبايعوا بانفاق مجلس الدواب والاعيان لولي عهده السلطان محمد الخامس وساقوا ذاك الذي عثت بمصلحة العثمانيين الى قصر الاتيني في ضاحية سلاطيك ليجري عليه ما جرى على كل سلطان مخلوع خان امته ودولته بدون ان يحقوا به اهانة - فحق للدولة والامة ان تدعو بدون نصر الجيش العثماني المنفر لانه كان سبب حياتنا اليوم ولطالما كان هذا الجيش سبب رفع هذه الدولة العلية كما كان في بعض الادوار بسبب خفضها

اعان جيش الدستور الاحكام العرفية اي عطلت القوانين الموضوعية وجعلت العاصمة تحت الاحكام العسكرية ريثما يستتب الامر لجيش الفاتح محمود شوكت باشا ويفتتح بن اضاعوا دينهم وديارهم بمال الامة السلطان المخلوع على رغائبه فشقق كثيرون ممن كان لهم ضلع في تشريش نظام الامة واهاجة العامة باسم الشريعة وحكم على بعضهم بالاشغال الشاقة وعلى البعض

الآخر بالنبي وهكذا تمت الغلبة لكلمة الحق على الباطل وكتب البقاء للحكم
النباي في السلطنة آخر الدهرات شاء الله

فكرنا ملياً في امر عبد الحميد وارادنا ان ننصفه في الترجمة فمارأيناله مزية
يذكر بها ويرحم . بلى وجدناه حسوداً يحسد حتى خصيانه واشق خبر
يترامى اليه ان يعلم بان في احدى اطراف مملكته عالماً ينفع الناس بعلمه فيجتال
عليه لئلا ياتي به الى الاستانة ليدفنه حياً فان لم يقدر فلا يسر عليه من
التقول عليه وتزوير حيلة للانتقام منه والخط من كرامته . وكان اذا عز
لا يلحق غباره نمرود وفرعون واذا ذل . ذله يكون للارنياء غالباً ينسى منزلته
ومقامه . وكان يالذه جداً ان يشهد الشقاق مستحكماً بين حاشيته وباقي
بينهم العداوة والبغضاء . وفي ايامه كثر اختلاف النساء الى قصره
حاسرات متبرجات بدعوى انه خليفة وللخليفة ان ينشر الى الهارم ولا حرج
عليه وعليهن ولهذا اخترع لهن وسام الشفقة . ولعل بعض من درسوا
الاخلاق الحميدة عن أمم يكتبون كتاباً مفصلاً فيها ليقرا الاخلاف عن
الاسلاف ما فعلته في ذاك المخلوع قلة التربية والعلم وفساد الفطرة والله اعلم



في سلا نيك

لقد سمعوا من الوطن الانسا	فضجوا بالبكاء له حيننا
وناداهم لنصرته فقاموا	جميعاً للدفاع مسلحيننا
وثاروا من مرابضهم اسوداً	بصوت الاتحاد مزججرينا
شباب كالصوارم في مضآ	يرون وكالشموس منورينا